# خـــاتمـة

ولد الوليد سنة تسعين للهجرة ، ونشأ بين أحضان أبيه وأمه الثقفية وجدته السفيانية نشأةً مدللةً طبعت شخصيته بطوابع مختلفة ، منها حب النعمة والترف ، وطلب اللهو ، والشعور بالاستعلاء ، والفخر بالنسب والنفس . وكان لمواقف أبيه المناوئة للقبائل اليمنية العراقية بعد قضائه على ثورة المهالبة تأثير واضح فى سياسته وما انطوت عليه من محاباة للقبائل القيسية وتحامل على القبائل اليمنية العراقية والشامية ، وكان للوليد إخوة كثيرون منهم الغمر بن يزيد وكان أقواهم اتصالاً به ، وأخلصهم مودة له ، وسليمان بن يزيد وكان ألد أعداء الوليد ، وأكثرهم تشنيعاً عليه . وتَسَرَّى الوليد عدداً من الجوارى والإماء ، واقترن بثلاث نساء من الحرائر الأمويات ! أشهرهن سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، إذ شق فى حبه وعشقها طويلا ، ونظم فيها أكثر غزله ، ولم يتزوجها إلا بعد أن استخلف ووضعت له أزواجه خمسة عشر من البنين . وبعض البنات ، وكان ابناه الحكم ، وعثمان أحب أولاده إليه ، فقدمها وخصها بولاية عهده ، وكان أولها ابن أمةٍ ، وثانيهما ابن عاتكة بنت عثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبى سفيان .

وأَدَّبَ الوَلِيدَ غَيْرُ مُؤَدَّبٍ ، أذكرهم عبدالصمد بن عبد الأعلى الشيبانى ، وهو من أسرة نابهةٍ كان لها مكانة اجتماعية مرموقة ، واشتغلت بالعلم والسياسة ، وهو الذى علم الوليد القراءة والكتابة والقرآن والحديث وأنساب العرب وأيامهم وحروبهم ، وقواعد اللغة والنحو والشعر والخُطَب وكان صديقاً حميماً للوليد ، فاعتصم به ، وأيده وحثَّه على التَّشَبُّث بولاية العهد ، وأغراه بمعارضته رغبة هشام بن عبد الملك فى المبايعة لابنه مسلمة بولاية العهد ، وبَصَّره بالردِّ عليه . والهُزْءِ منه ، فرماه هشام بالزندقة لِيُحَطِّمَهُ ويَعِيبَ الوليد به ثم حبسه ودفعه إلى يوسف بن عمر الثقفى واليه على العراق ، فَعَذَّبَهُ حتى مات صَبْراً ! وكان أبو نخيلة التميمى مؤدب الوليد الثانى ، وهو الذى عَلَّمه الشعر . وزعم الرواة والإخباريون المتأخرون أن يزيد بن أبى مساحق السلمى من مؤدبى الوليد . وهو شخصية مجهولة اخترعت للطعن فى الوليد والتشهير به . وبعد أن كبر الوليد واستقل بنفسه عَمَّقَ العلوم التى حصلها فى طور التلقين والتكوين ، فنمى معرفته بالقرآن وعلومه ، وبالفقه وأحكامه ، وبالحديث ورواته وعنى بالتراث العربى والتاريخ الجاهلى والإسلامى عناية فائقة ، فكلف عوانة بن الحكم الكلبى الكوفى أن يجمع له ديوان العرب ، فجمعه وقدمه إليه ، واحتفل الوليد بالشعر العربى ، فكان يسأل الرواة عن

روائعه وشوارده ، وكان يعقد المجالس الأدبية للنقاد ، ويستمع إلى نقدهم للشعر وتقويمهم له ، وأغرم بالشعر الغزلى والخمرى والهزلى غراماً شديداً ، لأنه كان يُرَوِّح به عن نفسه المرهقة . واستغل الإخباريون المتعصبون غرامه بهذه الألوان من الشعر أسوأ استغلال ، فخلطوا بين أخباره وأخبار غيره من الخلفاء ، وحرَّفوا بعض أخباره الموثقة ومَسَخُوها ، للقدح فيه وتجريح بنى أمية ، ومديح بنى العباس !

وكان لظروف الوليد العامة والخاصة أثر واضح فى إقباله على الترف والملاهى ، فقد جعلته يعكف عليها كعكوف غيره من الأمراء والخلفاء حيناً ، وجعلته ينغمس فيها أكثر من انغماس أترابه وأبناء طبقته حيناً آخر إذ عاش فى نهاية العصر الأموى التى شهدت استقرار الأوضاع الاجتماعية والحضارية وتطورها وازدهارها وتحررها وفِتْنَةَ الناس بمباهج الحياة وزِينَتِها من كل نوع ، وربى فى قصر أبيه على الدعة والسعة ، ثم ضَيَّق هشام عليه ، وكاد يَخْنُقُه خَنْقاً . فلما ولى الخلافة طلب الترف ، وبالغ فى طلبه ، وأكب على اللهو ، وأسرف فى الإكباب عليه ، لِيُعَوِّض مافاته فى فترة البؤس والحرمان ، فبذخ فى ملابسه وعطوره وقصوره وأولع بالغناء والمغنين والمضحكين ، وَأَدْمَنَ الخمر وشغف بالغزل ، وزاول سباق الخيل والصيد والمصارعة والشطرنج والصولجان ، ولكن الرواة والإخباريين المتحزبين عبثوا بأخبار ترفه وملاهيه وهواياته ورياضاته عبثاً ظاهراً ، تراوح بين التحريف والتشويه والدس والاختلاق ، فاستحال الوليد على أيديهم رجلاً خرافياً لانظير له بين البشر فى خلاعته وتَعَهُّرِه وفجورِه وضلالته وكفره !

وكان هشام بن عبد الملكَ يَمقُتُ أخاه يزيد وينافسه ، ويعتقد أنه أفضل منه وأنه يستحق الخلافة قبله ، فنقم من أخيه سليمان بن عبد الملك ، ومن عمر بن عبد العزيز ، تفضيلها ليزيد وتقديمها له عليه فى الخلافة . وقضت ثورة ابن المهلب بالعراق على بنى أمية أن يبايع يزيد بن عبد الملك لأخيه هشام بولاية عهده ، فلما انجلت المحنة السياسية وأدرك الوليد بن يزيد ، وبلغ الخامسة عشرة من عمره ندم يزيد ، وأراد أن يُعَيِّن ابنه وَلِىَّ عهده الأول ، ويؤخر هشاماً ويجعله وَلِىَّ عَهْدِه الثانى ، فعظم سخط هشام على يزيد وابنه الوليد . ولكنه كظم غيظه حتى لاتضيع الخلافة منه . حتى إذا قام هشام بالملك ، صمم على عقد العهد لابنه مسلمة ، وعلى عزل الوليد عن ولاية عهده ، وشاور الوليد فى ذلك فأبى فسأله : أن يوافق على أن يكون مسلمة ولى العهد من بعده ، فرفض ، فغضب هشام وثار على الوليد ، وأخذ يسعى لإقصائه عن ولاية عهده ، وآزره بعض أبنائه وأخواله وعُمَّاله ، فجعل يَذُمُّ الوليد ، ويطعن فى خلقه ، ويتهمه فى دينه ليثير الناس عليه ، ويحملهم على المطالبة بتنحيته . فكان ذلك يزيدُ الوليدَ تمسُّكاً بولاية العهد ، وعناداً لهشام وأعوانه ، ومحاربةً لهم . واستمر هشام يمكر

بالوليد ، والوليد يمكر به ، ويَتَصَدَّى له ويقاومه ، وهشام عاجز عن الانتقام منه والإيقاع به ، لأنه كان يخشى مسلمة بن عبد الملك ، أعظم أبناء عبد الملك هيبةً وجلالاً ونفوذاً وسَطْوةً . وكان مسلمة ينتصر للوليد ، ويردع هشاماً عنه ، ويزجره عن الإساءة إليه ، ولم يزل هشام مَغْلُولَ اليد ، يتطامن لمسلمة بن عبد الملك ، ويخافه لأنه كان أكبر منه ، ولأنه كان يعلم أن مسلمة هو الذى اقترح على أخيه يزيد أن يبايع له بولاية عهده ، وكان سبب تَولِّيه الخلافة . فلما مات مسلمة فى مطلع العقد الثالث من القرن الثانى صفا الأمر لهشام ، ولم يَعُدْ يَرْهَبُ أحداً من أهله أويَهابُهُ فقرر أن يتخلص من الوليد غِيلةً وغَدْراً ، فأخفق فتعاظم حنقه على الوليد ، وعداوُه له ، ففر الوليد إلى الأزرق من بادية الأردن ، وتَأَبَّدَ به ، محافظة على حياته ، وعزم هشام على أن يقتل الوليد جوعاً أو يتنازل عن ولاية العهد ، فقطع عنه وعن أهله وأسبابه وخاصته وحرسه العطاء والرزق ، فابتأس الوليد واكتأب وافتقر واحتاج ، ومع ذلك فقد ظل مُتَمَسِّكاً بحقه فى ولاية العهد ، يَحتَجُّ على هشام ، ويُقَرِّعُهُ ويُوَبِّخُه ، ويَدْمَغُهُ باللؤم والخيانة ، لأنه تَنَكَّر له ، وغَدَرَ به ، وجَحَدَ فَضْلَ يزيد بن عبد الملك عليه . ومات هشام دون أنْ يَفُوزَ بما أراد ، ولكنه أفلح فى تَمْزيق الوليد ، فقد وسمه بالمجانة والإباحة والإلحاد والزندقة وفتح الباب إلى تشويه سيرته وإفسادها .

ولم يَكَدْ الوَليدُ يُبَايَعُ بالخلافة ، وَيتولَّى الحكم حتى أخذ بثأره من أعدائه الذين كانوا يساندون هشاماً ، ويَحُثُّونه على خَلْعِه ، وفتك بهم فَتكاً ذريعاً ، فأعدم بعضَهم وحبس بَعْضَهم ، وعَزَل عُمَّال هشام وموظفيه ، لأنه ظفر بِكُتُبِهم التى أيدوا فيها هشاماً ، ووافقوه على خلعه ، إلا يوسف بن عمر الثقفى ، فإنه أبقاه واليا على العراق ، لأنه عارض هشاماً فى إقصاء الوليد عن ولاية العهد . وعندما خلص الأمر للوليد ، وانتقم من خصومه ، اهتم بشئون الدولة ، فزاد عطاء الناس فى الأمصار المختلفة عشرة دنانير فى العام . وزاد أهل الشام عشرة دنانير أخرى ، ووزع على أطفالهم الملابس والطيوب ، وَوَاسَى المحتاجين والعَجَزَة والزَّمْنَى منهم ، وكفل لهم حياةً كريمةً ، وعُنِى بتحسين الزراعة فى الشام ، فأنشأ بعض الجسور والمشاريع المائية ، واسْتَبْسَل ولاته وقادته فى مقاومة هجمات الترك والروم ، وأحرزوا بعض الانتصارات الكبرى ، إذ فتحوا قبرص لأَوَّل مَرَّة . وعقد العهد لولديه الحكم وعثمان ، وقدم الحكم وهو ابن أَمَة ، على عثمان وهو ابن حُرَّة ، فخرج على سُنَنِ الخلفاء الأمويين السابقين فى ولاية العهد ، إذ كانوا لايبايعون بها إلا لأبنائهم الصرحاء ، فبايع بها لابنه الهجين لِيتألَّفَ الموالى ، ويُخَفِّفَ من شعورهم بالغَبْنِ والظُّلْم وأشاد الشعراء الأمويون بشخصية الوليد . وما اتسمت به من سماحة وأريحية وصرامة وشهامة ، وَوَقارٍ وَوَرَع ، ونَوَّهُوا بسياسته ، وما تَحَقَّقَ للناس فى عهده من استقرار ورخاء وطمأنينة وعدل ، وللإسلام من قوة وعزَّة .

وتآمَرَ بالوليد فئات وجماعات مختلفة ، سَعَتْ لِعَزْلِهِ واغْتِيالِهِ ، منها الأمراء الأمويون الصغار من أبناء عَمَّيْهِ الوليد وهشام ابنى عبد الملك ، وعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، وعبد الله وعاصم ابنا عمر بن عبد العزيز ، الذين كانوا ينازعونه فى الخلافة ، ويريدون الاستيلاء عليها والاستئثار بها . ومنها سادة القبائل اليمنية الشامية الذين امتعضوا لقتل زعيمهم خالد بن عبد الله القسرى واستاءوا من محاصرة الوليد لهم ، وتَضْيِيقه عليهم ، وتَقْلِيصه لنفوذهم ، وتَحْكِيمه القيسية فى رقابهم ومنها القدرية الذين كانوا ينادون بإصلاحات اجتماعية وسياسية شاملة ، فحاربهم الوليد ، لأنه هَدَّدُوا الخلافة الأموية ، وتَقَدَّم صفوف الساخطين عليه ، والمتآمرين به ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، ولم يزل يدعو الناس إلى نفسه ، ويُؤَلِّبهم على الوليد ، ويستميل كل من آمنوا بدعوته ويستوعبهم وينظمهم حتى تكاثف أنصاره ، فادَّخرهم ليوم الثورة المرتقب . فلما غاب الوليد عن دمشق ، وخلت من كبار المسئولين لانتشار وباء الطاعون بها ، احتل دمشق وخلع الوليد ، وأرسل إليه جيشاً بقيادة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، أطبق عليه بحصن البخراء على أميال من تدمر ، واغتاله . ونجم عن اغتيال الوليد ذهابُ هَيْبة الخلافة وسلطانها ، وتَصَدُّعُ الأسرة الأموية وتَصارُعها على الملك ، وإفناءُ بعضها لبعض ، واحتدامُ العصبية بين القبائل المضرية واليمنية فى كافة الأمصار ، وتَمَزُّقُ الجيش الأموى وتَفَسُّخه ونشاط الأحزاب ، إذ تَحَرَّكَ الشيعةُ بالكوفة ، وَتَمَرَّدَ الخوارج من الصُّفْرِيَّةِ والإباضِيَّة . وصَبَرُوا فى قتال عمال بنى أمية فى العراق واليمن والحجاز والمغرب ثلاثة أعوام متصلة ، واغتنم العباسيون كل النتائج التى نشأت عن اغتيال الوليد ، فَجَدُّوا فى الدعوة السرية لأنفسهم ، وفى تَحْرِيضِ الناس على بنى أمية ، واجتهدوا فى تنظيم أتباعهم ، حتى إذا أيقنوا أنه لم يَعُدْ فى طاقة مروان ابن محمد أن يفتك بهم إذا خرجوا عليه ، لأنه استهلك قوة جنده فى مقارعة الخوارج ومجالدتهم ، أعلنوا ثورتهم بخراسان وأطاحوا بالدولة الأموية ! .